قيام الدولة الساسانية

اشارت المصادر المتوفرة الى أن بلاد أيران شهدت تدهوراً في أوضاعها في القرن الثالث الميلادي ، نتيجة السياسة اللامركزية التي اتبعتها الدولة الفرثية ((الارشاقيه)) ((الاشكانيه)) حيث تقسمت البلاد الى ممالك متعددة خاصة بعد ضعف السلطة المركزية في العاصمة الفرثيه طيسفون فستغل هذه الاوضاع اردشير بن بابك بن ساسان .

ساسان كان الكاهن الاعلى لبيت النار الخاص بالآلهة (أناهيتا) في مدينة اصطخر الواقعة في اقليم فارس ، وهو رجل من عائلة فارسية نبيلة متزوج من فتاة من بيت الزرادشتين ((البارزنجين)) . الامر الذي استفاد من بابك بن ساسان الذي خلف والده في هذا المنصب ، حيث استغل علاقة والده الطيبة بالأسرة الحاكمة بمدينة اصطخر (الزرادشتين) وعين أبنه (اردشير) قائداً أعلى للجيش على مدينة دارابجرد ، الامر الذي استغله اردشير فقضى على حاكم مدينة دارابجرد واصبح هو الحاكم عليها ، وبنفس الوقت ثار والده بابك على حاكم مدينة اصطخر واصبح مكانه ، وتلقب بلقب شاه ((الملك)) كما كان يفعل من قبله امراء اقليم فارس.

اردشير كان يملك طموحاً كبير في اقامة دوله قوية مركزية تمد نفوذها الى مناطق متعددة وواسعة وقد صادف في تلك الفترة وفاة والده بابك في مدينة اصطخر فخلفه ابنه سابور ، الامر الذي لم يعجب اردشير حاكم مدينة دارابجرد فدخل بنزاع مع اخيه حاكم اقليم فارس ، وصادف ان توفي سابور فانتخب الاخوة اردشير ملكا عليهم.

وبعد استتاب الامر له قام بالتوسع على حساب الدولة الفرثية فاحتل اقليم كرمان وسواحل الخليج العربي وامر ببناء قصر ومعبد نار في مدينة فيروز آباد الامر الذي لم يعجب الفرثيون الاشكانيين فأوعز ملكهم الى حاكم اقليم عربستان بقتاله ، لكن اردشير استبق الاخير وغلبه على اقليمه ووسع نفوذه الى مناطق في جنوب العراق ، الامر الذي دفع ملك الاشكانيين (الفرثيون) على ان يقود الحملة بنفسه من عاصمته المدائن لكنه خسر المعركة ودخل اردشير المدائن واعتبر نفسه وارث الاشكانيين وتلقب ابتداءاً من عام ٣٢٢٤ بلقب(شاهنشاه) اي ملك الملوك .

وتشير المصادر الى أن اردشير عمل على الزواج من احد اميرات البيت الاشكاني ليكسب حكمه صفة الشرعية ، لكن المشكلة التي واجهته أن الاقاليم التابعة للدوله الفرثيه لم تخضع له بسقوط المدائن

على يديه الان الدوله الفرثيه كانت تتبع نظام اللامركزي في حكم الاقاليم الامر الذي اضطر اردشير الطموح الى أن يقود حملات عسكرية لإخضاع باقي اقاليم بلاد ايران لسيادته ، وقد تم له ذلك بعد سنين قليلة من المعارك العسكرية حيث اصبحت بلاد ايران والعراق خاضعة لسلطته ورساله ملوك افغانستان وبلوخستان واقليم جرجان وامتدت دولته الى مناطق واسعة جداً فلقب ملوك الساسانيين منذ ذلك التاريخ بلقب ملوك الكوشين كوشان شاه ومن جدير ذكره أن اردشير كان يقتفي اثار عظماء ملوك الاخمينين لانه يعد نفسه وارثا شرعيا لحكمهم وفي عمله هذا يعيد الحكم الى اهله الشرعيين .

من اهم اعمال اردشير الادارية والسياسية والعمرانية .

١- اكمل دستور الملوك ورتب المراتب واحكم السير واجرى الارزاق للجند
٢- اتبع سياسة مركزية في ادارة الاقاليم الا انها ملزمة بدفع قدر من المال ويكون الجيش تحت السلطة المركزية .
٣- قام ببناء ستت مدن منها بمدينة فارس مدينة اردشير خسرو ومدينة رام اردشير ومدينة استاذ اردشير.
٤- اهتم باقليم فارس على اعتبار انه مسقط رأس اجداده لذلك اتخذ من الاقسام الصخرية لمدينة اصطخر مكانا لتخليد ذكراهم في كتابات ورسوم تذكارية ويعرف هذا المكان (بنقش رجب) والاخر (بنقش رستم)
٥- لم يلغ الساسانيون التراث الفرثي وانما سايروه وطوره نحو الافضل ، فقد استخدمت مثلا اللغة البهلوية الفرثية بجانب البهلوية الساسانية في تسجيل نصوصهم التذكارية .
٦- توحيد البلاد تحت راية دين واحد رسمي هو الدين الزرادشتية وامر بجمع تعاليم زرادشت في مجلد واحد كما جمعت تفاسيره المعروفة باسم الزند وجعل له تفسيراً عرف باسم بالزند ومنح رجال الدين صلاحيات واسعة لاعتقاده بأن الملك والدين اخوان لا يقوم احدهما الا بالآخر.
٧- اولى ارد شير العلوم والمعارف اهتماماً زائداً فأمر بالحصول على نسخ من الكتب الطبية والفلكية .
٨- قسم الناس الى اربعة طبقات الاساورة (رجال الحرب)، رجال الدين ، الكتاب والاطباء الزراع واصحاب المهن ، ورسم حدود صارمة لكل من هذه الطبقات لكي لا تنتقل طبقة لأخرى لأنه رأى في ذلك فشل الملك.
٩- ابتدع مراسيم الحياة الملكية ولا يمكن لأي شخص تقليدها .

١٠- انشأ الساسانيون امارة عربية تابعة لنفوذهم السياسي واعتمدوها كحصن منيع بوجه القبائل العربية من سكان البراري هي (الحيرة) . وفي المقابل انشأ الرومان الحضر في بلاد الشام.

عهد شابور الاول

اردشير تنازل عن العرش لابنه وهو في اوج قوته ، فورث سابور دولة مترامية الاطراف قوية البنيان ، ذات تراث كبير ومشاكل كبيرة .

توفي اردشير عام ٢٤١ م وتوج ابنه سابور ملكاً ٢٤٢م، وقد سار سابور على سياسة والده من حيث طموحه في تأسيس امبراطورية تضاهي الامبراطورية الاخمينية القديمة فأفاد من التنظيمات العسكرية التي ادخلها والده ، فأستطاع أن يمد نفوذه الى الشرق للقضاء نهائياً على بقايا الفرثين ثم توجه شمالا وغربا الى ان وصل الى حدود الدولة الرومانية ، وبعد ان استقرت له الاوضاع السياسية اتخذ لقب شاهنشاه ايران وانيران أي ملك ملوك ايران وغير ايران ويعكس هذا اللقب النفوذ والقوة التي وصل لها هذا الملك .

وبعد مرور خمسة عشر سنة على اتفاقية السلم التي وقعت بين الساسانيون والرومان اثر الانتصارات التي حققها سابور الاول نشبت الحرب مرة اخرى ووقعت معركة طاحنة كان من اهم نتائجها انتصار سابور الاول وسقوط الملك الروماني (فاليران) و ٧٠ الف من جنوده اسرى ، أسكنهم سابور مدينة جند سابور وفرض عليهم بناء سد عظيم على نهر الكارون مقابل اطلاق صراحهم ، وتمت الاتفاقية وما يزال هذا السد الى يومنا هذا ويعرف باسم سد الامبراطور .

توفي سابور عام ٢٧٢بعد حكم طويل مليء بالأحداث الجسيمة حتى أن شهرته وكثرة اعماله غطت على احداث حكم ولديه ورثيي العرش بعده وهم (هرمزد الاول ٢٧٢-٢٧٢) (وبهرام الاول ٢٧٣-٢٧٤) .

تدمر والساسانيين

تدمر واحة كثيرة الماء والزرع تقع في الاطراف الشمالية ببادية الشام يسكنها العرب الذين ساهموا بتجارة المرور البرية عبر الخطوط الصحراوية حيث عمل اهل تدمر كوسطاء لتجارة الشرق في بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وكانت ترتبط بعلاقات ودية مع الرومان لانتفاع احدها بالآخر ، ولم يفكر الرومان باحتلالها لصعوبة مسالكها وتعذر تيسير طرق القوافل البرية دون اهلها .

اما بالنسبة الى الساسانيون فأنهم لم يدركوا تفاصيل الحياة في المنطقة وخاصة الاقتصادية فأضر تحركاتهم العسكرية بالتجارة والمصالح التدمرية ، فبعد انتصار سابور الاول على فاليران سار

لاحتلال اقليم كبدوكية وفي اثناء العودة تعرض لهجوم تدمري بقيادة الامير اذنيه فهزم القائد الساساني سابور وغنم اذينه غنائم عظيمة من الساسانين بعد أن طرد جيشهم الى حدود الفرات ، فحصل اذنيه على رضا الرومان ومنحو لقب قيصر ، وبعد وفاة اذينه اصبحت زوجته الزباء (زبوبيا) حاكمة لأنها الوصية الشرعية عن ابنها وهب اللات الذي مازال صغيراً ، وقد كانت تتمتع بشخصية فذة ازدهرت تدمر في عهدها وتوسع نفوذها حتى وصل مصر الامر الذي ازعج الرومان الذين قرروا وضع حد لنفوذهم فاحتلوا تدمر .

الحضر والساسانيون

تقع الحضر بين دجلة والفرات وتشهد أثارها الباقية على قوتها حيث امتنعت الرومان وحالوا اسقاطها لكنه فشلوا وربما انهم لم يكونوا مصرين على اسقاطها لأنها بحكم موقعها بعيدة عن مراكز نفوذهم ، لكنها بالنسبة الى الساسانيين منطقة عبور الى اقليم الجزيرة ومراكز النفوذ الروماني ، لذا بادر اردشير لحربها الا انه فشل لقوتها ، لكن سابور الاول الذي خلف والده تمكن من اخضاعها بعد ان حقق انتصارات ساحقة في ارض الجزيرة وسوريا لأنها اصبحت خلف خطوط قوات الساسانيين فأصبح من غير الممكن للساسانيين ترك قوة مستقلة عن نفوذهم السياسي خلف خطوطهم الدفاعية فحاصرها الملك الساساني سابور لمدة سنة استسلمت المدينة بعدها ونقل اهلها اسرى وانتهى نفوذ الحضر السياسي .